فتاة من غزة

نجيّا محمود، فلسطين

(1)

في خيمة منسية في طرف هذا العالم
أحيا كمن ماتت وأشبه من رقدوا في المأتم
أصحو على قصف يذكرني بأني حاضرة
وأنام في وجع وعجز في ترقب ما يكون.

حتى بحرنا المكسور لم يسلم من الفقد الأليم
أمواجه اختلطت بأشلاء الأحبة في الصميم
وهناك في غرف التناقض والمنافع والكلام
يتلونون كعادتهم ويوزعون لنا الخيام.

لا تقلقوا
فالموت مستمر هنا والذبح مستمر هنا
والوقت مشلول يحدق في الدماء
إلا أنني مجبرة
آكل وأشرب الكولا وأبكي في الخفاء.

(2)

أنا نجيّا
في خيمتي التي تغفو على حافة الأيام
تركت ملامحي القديمة في مرآة الأمس
وذبل شغفي بهدوء كما تذبل وردة غاب عنها المطر.

لم أعد تلك الفتاة التي تركض خلف أحلامها
الأيام هنا سرقت لوني وسرقت حتى قدرتي على الألم
صار الوجع يمر بجانبي فلا ألتفت
والخوف يطرق بابي فلا أرتجف.

صرت خفيفة جداً مثل ظل
أشاهد العمر يمر من ثقب القماش
فتاة كانت يوماً تفيض بالحياة
وصارت اليوم غيمة هادئة.

لكنها غيمة تخبئ في قلبها قطرة ندى
ورغم هذا السكون الشاحب
أحتفظ في داخلي ببذرة صغيرة ترفض الموت
أنتظر فجراً يمسح عن روحي هذا الرماد
لأوقظ أحلامي من سباتها
وأنفض غبار الخيمة عن قلبي
وأعود يوماً نجيّا التي تبتسم للحياة.

(3)

هي فتاة من غزة
تركت ملامحها الناعمة في مرآة الأمس
وأتت إلى هذه الخيمة تحمل قلبها في يديها
تتأمل وجهها اليوم فلا تبحث عن إشراقة الأيام الهادئة
إنما تقرأ في شحوبها قصة حزن أعمق من كل الكلمات.

لم يسرق التعب جمالها
لقد منحه لوناً آخر يشبه الغيم الثقيل المليء بالمطر
يمتزج بتراب مدينتها الحنون
في عينيها المتعبتين يسكن سكون بحر خذلوه

وفي هدوئها ألم نبيل لا يشوه الروح
لكنه يعيد تشكيلها لتصبح أكثر رقة وشفافية
وتقف كشجرة باقية رغم قسوة الريح.

هي التي كانت ترتب أحلامها بخفة فراشة
صارت اليوم ترتب وجعها بهدوء حكيمة
لم تعد تتزين بما تصنعه الأيام
واكتفت بهذا الجمال الغريب الذي يتركه الألم
وكأن الوجع صقل روحها تماماً
مثل زجاج مكسور يعكس الضوء وسط العتمة.

في غزة لا يذوي الجمال تحت الخيام
إنه يمتزج بالدموع وينضج ليصبح أكثر مهابة

كل خط رسمه السهر على وجهها هو قصيدة
وكل نظرة شاردة نحو السماء هي بوح ودعاء صامت
لأنها ورغم كل هذا الخراب الشاحب
حتى ملامح التعب على وجهها جمال